تعقيب على الحوار مع السيد بشير اسحق سعدي

آزاد محمد

يعاني الفكر القومي الآشوري/ السرياني بشكل عام, والفرع السوري منه بشكل خاص من علل وأمراض مزمنة و عقد متراكمة مع القرون صعبة العلاج. العقلية الانتقامية.. الالتصاق بماض بائد.. التظلم و الرغبة الدائمة في اثارة شفقة الآخرين.. اللاواقعية المفرطة.. الرغبة في احتكار التاريخ.. التملق بالسلطة و الاستقواء بها و الحقد الدفين على الكرد .. هذه هي الملامح العامة للخطاب القومي لأغلبية ال" مثقفين " و الحزبيين السريان و الآشوريين التي نستطيع رؤيتها في تصرفاتهم و مواقفهم, و تظهر بشكل واضح في كتاباتهم و أقاويلهم و أدبيات أحزابهم.

و ما ردده السيد بشير اسحق سعدي حول كوردستان في الحوار الذي أجري معه ليس سوى نفس الاسطوانة القديمة المشروخة التي لم تتوقف بعض الجماعات الحالمة من الآشوريين و السريان عن ترديدها منذ عقود.. و مع أن الكورد ليسوا مستعدين لحظة واحدة للمساومة على كوردستانية كوردستان, الا أنه سيكون من المفيد كشف مقدار التزييف و التضليل الذي يحويه كلام السيد سعدي, و يمكننا أن نفعل ذلك بسهولة بالاعتماد على الأدلة التاريخية أولا, و على ميثاق جنيف لحق الشعوب في تقرير مصيرها ثانيا. لا ننكر أن جزءا محدودا من كوردستان الحالية سكنه الآشوريون قديما الى أن حل محلهم الكورد القدماء (الميديون) أو ذابوا في بوتقة الأثنية الكوردية, الا أن هذا يمثل جزءا طبيعيا من حركة الشعوب القديمة و هجراتها, فعمليات الصهر و الادماج القومية كهذه تكررت عشرات المرات في الشرق الأدنى خلال تاريخه الطويل. قوميات سادت و سيطرت ثم سقطت و اندمجت بشعوب و قوميات جديدة مهاجرة من أماكن بعيدة في أغلب الأحيان..
يستطيع السيد سعدي اذا كان لديه كتب تاريخ موثوقة أن يطلع على الحضارات و الممالك الهندو أوربية القديمة التي قامت في منطقة كوردستان الحالية و دامت فتة فترات طويلة من الزمن مثل: سوبارتو (كوردستان العراق و الجزيرة, دامت 600 سنة), كاردو (مناطق من كوردستان تركيا, سماها الآشوريون " بقوردا "), ميتاني " هوري " (الجزيرة, تدل عليها آثار كر موزان و رأس العين), كاموهو (أثار نمود), لولوبي, الامبراطورية الكوتية 2100 ق.م (شملت معظم أنحاء كوردستان الحالية) الخ..
كما يستطيع أن يقرأ عن عملية الأرينة التي حصلت لهذه الشعوب بعد هجرة الميديين (الكورد القدماء) و استقرارهم في معظم أجزاء كوردستان و أجزاء من أذربيجان و فارس. (راجع م. ج درايفر : "دراسات في تاريخ الكرد", ف. مينورسكي : " الكرد أحفاد الميديين القدماء " و " أصول الكرد ", ب. ليرخ : " الكرد و أسلافهم الخالديين الشماليين "). هكذا تكونت كوردستان الحالية. و أكثر من ذلك, فقد قام الآشوريون و البابليون بنفس عملية الازاحة الاثنية تلك عندما سيطروا على أراضي السومريين و استوطنوها (و السومريون شعوب غير سامية و لا علاقة لهم بالآشوريون بعكس ما يقوله السيد سعدي).

أنا لا أقصد هنا تبرير الاذابة القومية, الا أنني أفسر أحداثا و وقائع حقيقية حصلت في ماضي المنطقة. بشكل عام, و بعيدا عن التيه في غياهب التاريخ, على السيد سعدي أن يعلم أن الأرض لمن يسكنها و أن الشعوب هي المصدر الوحيد للسلطة و الشرعية و على هذا فأنه يحق للشعب الكردي / الكردستاني وحده أن يسمي أرضه التي يعيش عليها, و كلنا نعلم ماذا يسمي الكرد أرضهم.. كوردستان. تاريخيا تعود تسمية " كوردستان " الى ثمنمائة سنة خلت عندما احتل السلاجقة المنطقة و قسموها الى ولايات حيث اقتطع السلطان سنجر قسما من اقليم الجبال يضم كوردستان العراق و ايران حاليا و ولى أخاه عل الاقليم الذي سماه " كوردستان " و هذا يدل

على أن الكرد كانوا أغلبية فيه آنذاك.

لنسأل السيد سعدي : ماذا تسمي الدولة التي تحاذي سوريا من الشمال ? هل تسميها " بيزنطا " أم تركيا ?
اذا ما انطلقنا من وجهة النظر السيد سعدي (وجهة النظر الآشورية) فعلينا أن نسميها بيزنطا بلا شك لأنها أرض تاريخية بيزنطية (يونانية) احتلت من قبل الاتراك و ظل اليونانيون يشكلون الأغلبية في مدنها الرئيسية (عدا مدن كوردستان) حتى بدايات القرن العشرين الى أن قام المجرم كمال أتاتورك بقتلهم و تهجيرهم و تتريكهم.. و لكن مع هذا كله فان تسمية المناطق التي يسكنها الأتراك اليوم ب " بيزنطا " سيكون أمرا مضحكا و خرافيا الى حد بعيد لأن الأمر الواقع هو أن هوية سكان هذه المناطق اليوم هي هوية تركية و ليست بيزنطية.

يقول السيد سعدي أن الآشوريين شكلوا نسبة ثلاثين بالمئة في كوردستان في بدايات القرن العشرين مع أنه لا اثبات علي ذلك على الاطلاق, الا أن الأنكى من ذلك هو أنه يدعي بأن هؤلاء لم يعودوا موجودين الآن لأنهم تعرضوا الى " مجازر " لأنهم " أرادوا أن تكون المنطقة تابعة للعراق و ليس لتركيا " !! كلنا نعلم بأن القيادات الآشورية و من تبعها من الآشوريين في تلك المرحلة لعبت دور العملاء للانكليز حيث استعملهم الانكليز (و قبلهم الروس و بعدهم الفرنسيون) لتنفيذ مخططاتهم و مآربهم ضد شعوب المنطقة مستغلين الحقد المسيحي المتراكم على المسلمين لقرون بسبب الظلم الذي نالوه.. الى أن تخلى الانكليز في النهاية عن الآشوريين بكل برودة دم و تركوهم عرضة لانتقام حكومات المنطقة التي لم تر فيهم سوى عملاء للأجنبي (مع ادانتي القوية لكل جريمة ارتكبت بحق الآشوريين الأبرياء).

أما بالنسبة لادعاء السيد سعدي بأن الآشوريين ناضلوا لكي يبقى " شمال العراق " مع بقية أجزاءه فهو لي واضح لعنق الحقيقة لأن قيادات الآشوريين آنذاك كانت تطالب الاستعمار سرا بدولة خاصة بهم و لأن العراق بمفهومه الحالي لم يكن موجودا أصلا.. أما بالنسبة للفدرالية و تقرير المصير لكوردستان العراق فان ذلك حق طبيعي لشعب كوردستان يقره له ميثاق جنيف العالمي لحقوق الانسان, فقد عبر شعب كوردستان عن مطلبه بالفدرالية عن طريق برلمانه المنتخب و يمتلك الشعب الكوردي كل مقومات الاستقلال و قد كان انضمامه للعراق قسرا و من دون رغبته. يمكننا اختصار منطق السيد سعدي بما يلي : (بما أن الأكراد شعب غازي و غير أصيل و دخيل على المنطقة, فيجب أن يعامل أبناؤه على أنهم مواطنون من الدرجة الثانية, و على ذلك لا يحق لهم أبدا ما يحق للشعوب " الأصيلة " التي تعيش على أرضها من تقرير مصير و بناء الدولة المستقلة ..). ان هذا بالطبع منطق خاطئ, فميثاق جنيف يقر بأن لكل شعب يعيش على أرض مشتركة و لديه رغبة في العيش المشترك الحق الكامل في تقرير مصيره, و لا توجد أية استثناءات فيما يتعلق بذلك و هنا بيت القصيد, فالسيد سعدي و أقرانه يريدون و بكل بساطة استثناء الشعب الكوردي من قانون جنيف كما فعل صدام و الشاه الايراني و أتاتورك و يفعل اليوم الحكام الشوفينيون و بعض المتثاقفين القومجية.

ننصح السيد سعدي بأن يراجع نص الميثاق و يقرئه جيدا, عندئذ سيدرك - ولو متأخرا - بأن حق الشعوب في تقرير مصيرها على أرضها لا يتوقف على مدة اقامة هذه الشعوب عليها, و أنه ليس ممكنا استثناء الشعب الكوردي الذي يريد الفدرالية - بل البعض يريد الاستقلال - من ذلك. تقرير المصير هي رغبة شعبية كوردية يدعمها كل كردي شريف في العالم, و محاولة السيد سعدي للوقوف في وجه هذه الرغبة هي محاولة للوقوف بوجه شعب كامل, و الوقوف بوجه شعب كامل لا يعني سوى شيء واحد .. العنصرية. السيد سعدي و أقرانه لم ينبسوا ببنت شفة عندما كان الكورد يبادون بالغازات الكيماوية و يهجرون من أرضهم و يدفنون أحياء في

المقابر الجماعية.. بل ربما كانوا يضحكون في سرهم للانتقام المجاني الذي حصلوا عليه..

أخيرا أؤكد مرة أخرى بأن ما يقوله السيد سعدي و جماعته و ينشرونه لن يستطيع التأثير على الكورد و كوردستان بشيء, الا أننى أحب أن أنبههم الى أن تصريحاتهم المستفزة هذه تسبب استياءا و حساسية متزايدة في ألأوساط الكوردية تجاه السريان و الآشوريين .. و النتيجة الوحيدة هي لذلك الضرر الذي سيحل بعلاقة الشعبين المتعايشين.